

# عدنان الصائغ في حوار مع آفاق سبيري

◆ حاوره : مازن لطيف علي / بغداد

× إلى أي مدى يمكن الحديث عن علاقة الشعر والفلسفة، وتأثير ذلك على تكويناتك الأولى؟

- "الشيء الأساس عندني الشعر ومنه أنطلق صوب علم الجمال والفلسفة والسياسة". هكذا يقول الشاعر أوكتافيوبات، ومن هذا الباب كانت رؤيتي إلى العالم من خلال الشعر. فهو الأقرب إلى تكويني وأحلامي وقراءاتي..

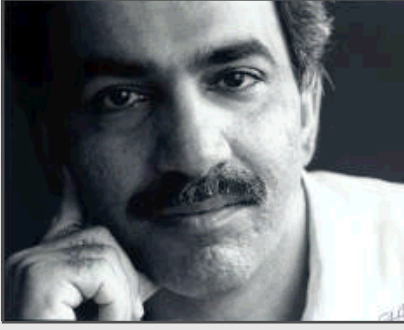
هكذا وجدت الأمر منذ تفتح وعبي على الحياة والكتب، في مدينتي الحاملة على نهر الفرات، الكوفة، والتي شهدت عبر تاريخها الحافل أعظم مدارس الأدب والفلسفة والنحو والفقه: المتنبّي، النفرى، جابر بن حيان، الكندي، الكسائي، عبدك الصوفي، سعيد بن جبیر، أبو حنيفة، سفيان الثوري، شريح القاضي، رسائل أخوان الصفا، فيوضات ربيع بن خيثم، زهد ابراهيم التميمي، هوس أبي الفضل الكوفي، من جانب. وشهدت - على أرضها المضطربة - من جانب آخر، صراعات الخير والشر والحق والظلم: ثورة الحسين، زيد بن علي، ابن الأشعث، المختار الثقفي، الجعد بن درهم، القرامطة، انتفاضة التوابين... والخ والخ من ثورات وخبيات..

وانظر على مقربة 500 متر من بيتنا الصغير هناك، كانت أطلال قصر الإمارة، تستوقف طفولتي الحائرة المتسائلة، (قال الثعالبي: روت الرواة من غير وجه عن عبد الملك بن عمير الليثي قال: رأيت في هذا القصر وأشار إلى قصر الإمارة بالكوفة رأس الحسين بن علي بين يدي عبید الله بن زياد على ترس ثم رأيت رأس عبید



- إذا اردنا ان نبني عراقاً جديداً فلا بد ان يكون للمثقف مكانته في القيادة والتأثير والتأسيس

- في أجواء الحرية والأمان تنتعش الثقافة خاصة ان توفرت لها أرضية كالعراق، ولدت عليها ملحمة كلكامش أولى الملاحم الشعرية في التاريخ الانساني، وازدهرت فيها أربع حضارات كبرى (السومرية والأكدية والبابلية والآشورية).. ارض غنية بشعبها وبمثقفيها وعلمائها وفنانيها، وخصبة بخيراتها ومواردها.. ارض يمكن ان تنهض من جديد، هذا ما يقوله الشاعر العراقي المعروف عدنان الصائغ في حوارنا معه :



## عدنان الصائغ

**- هموم الوطن تشغلني وأنا أتبع  
من منفاي البارد غصاته اليومية**

**- الكوارث التي مرت بنا خلال  
الحقب الماضية لم تكن الا نتيجة  
ذلك الغياب الفاجع للمثقف مقابل  
تسلط العسكري والاقطاعي والتاجر  
والسياسي**

كتاب.. هائماً بأحلامي الطافية على سطحه كأنها  
الشموع التي كانت توقدها نساء مدينتي نذراً  
ويتركها طافية على خشبة تندفع مع المويجات..  
لكن إلى أين؟

هل من هنا تعلمت الشعر، وقرأت فلسفة  
الوجود؟ لا أدري..

انها الحيرات والتساؤلات التي تبقى مفتوحة  
إلى آخر الرحلة، أو آخر العمر..

يقول روبرت فروست: "يبدأ الشعر بالمسرة،  
وينتهي بالحكمة". ويقول سان جون بيرس: "على  
الفلاسفة أن يتعلموا من الشعراء".

فإذا كان ول ديورانت في كتابه (مناهج  
الفلسفة) يقول: "لولا الفلسفة لكان التاريخ مجرد

الله بن زياد بين يدي المختار بن أبي عبيد ثم رأيت  
رأس المختار بين يدي مصعب بن الزبير ثم رأيت  
رأس مصعب بين يدي عبد الملك فحدثت بهذا  
الحديث عبد الملك فتطير منه وفارق مكانه.//  
السيوطي/ تاريخ الخلفاء

أي تاريخ هذا.. يا الهي؟!

وقريباً من هذا القصر وبيتنا، يقع مسجد  
الكوفة الذي بناه سعد ابن أبي وقاص بعد تمصير  
الكوفة عام 17هـ - 639م. أي تاريخ هذا اختلط  
به الدم بالكتب، والغبار بالفلسفة، والفرات  
بالثورات.. وكيف لصبي مثلي أن ينجو من تلك  
الكوابيس وهي شاخصة أمام عينيه الحاليتين أينما  
التفت.. لكنني وجدت متنفسي في الكتاب والنهر..

" كان النهر.. صديقي

منذ نعومة أحلامي

وأنا أتسكع في ضفته..

.. الممتدة حتى آخر أطراف القلب

بحثاً عن أعشاب السحر

وأزهار الشعر

أداوي فيها أحزاني الأولى

وصباياتي الأولى

فتشك الأشواق نعومة كفي

وتسيل دمائي في النهر

هكذا أكتب في قصائدي الأولى (من ديواني

الأول "انتظريني تحت نصب الحرية" عام 1984)..

كان الشعر تعويذة ساطل أحملها، في أزقة مدينتي

الكوفة، ثم إلى بغداد، سنوات الحروب الطويلة

والمريرة، حتى هروبي من الوطن بعد عرض ومنع

مسرحيتي "الذي ظل في هذيانه يقضاً عام 1993

وطوافي في مدن الغربة والترحال..

لم أجد لي ملاذاً غيره، وجوداً وفلسفة وصليباً

ويوتوبياً.. مثلما لم أكن أجد في طفولتي ملاذاً لي

غير السباحة في ذلك النهر لساعات طويلة.. كأنه

ملعبي وصديقي وسلوتي وأحلامي، كي أنسى

مذاق الفقد المبكر والفقر.

كنتُ استغرق بين أمواجه كاني أقرأ في

وبمثقفيها وعلماؤها وفنانيتها، وخصبة بخيراتها وموارها" (دجلة والفرات والنخيل والنفط والخ).  
نعم.. يمكن للثقافة أن تنتعش، ولبلد أن ينمو ويتطور لو ترك لشعبه الحرية والأمان والاستقلال.. بعيداً عن تلك المنظومة الكارثية التي ذكرتها أعلاه والتي أنشبت أظفارها - منذ سقوط النظام البائد - وراحت تنهش فيه وتتناقل على تقطيع لحمه وعظمه..

لقد شهدت بغداد على مر تاريخها انتكاسات عدة وازدهارات عدة، وتقلبت بين عصور ذهبية وأخرى نحاسية وفترات ظلامية، وزلزلتها حروب وانقلابات وكوارث كثيرة، وما إن ينقشع عنها ذلك الظلام حتى تعود من جديد مشرقة وهاجة كطائر العنقاء الذي يحترق ويولد من رماده..

× ما هو الهاجس الأهم للشاعر العراقي الكبير عدنان الصائغ بعد هذه التجربة الطويلة في البحث والكتابة الشعرية؟

- هاجسي الوطن والقصيدة معاً، مثلما هاجسي الحرية والجمال: حياةً ونصاً، وما بينهما من حب وكتب وأصدقاء ومدن وتسكعات وأحلام وخيبات وتساؤلات دائمة..

لا يزال البحث في القصيدة يشغلني على الدوام، ويدخلني عوالم ما كنت أحلم بدخولها: ممالك مدهشة لم تجد بعد من يفك أسرارها وطلاسمها، وتاريخ أمم، ومعارف وحيرات طافية على سطح بحيرة الوجود منذ آلاف السنين..

فالقصيدة ليست كلمات فقط، إنها دخول في مغارات النفس البشرية، وبحث دائم في بطون التاريخ ومشارف المستقبل.. هي تلمس خفي لسبر أغوار تلك الأحاسيس والرعشات التي تعترى الإنسان لحظة فرحه وحزنه وحلمه، للوصول إلى كنه البشر وجوهر الوجود..

ولا تزال هموم الوطن تبهظني قلقاً وأنا أتتبع - من منفاي البارد - غصاته اليومية، وأقول أن لهذا الكابوس أن ينتهي، ولهذا الظلام أن يجلي... فاسمع "تشيد أوروبك":

نبش عن الوقائع يدس أنفه في الماضي". فإن رسول حمزاتوف يرى أنه "لولا الشعر لتحولت الجبال إلى كومة من الحصى، والمطر إلى ماء أسن ومستنقع، والشمس إلى جرم سماوي مشع له قدرة حرارية... لولا الشعر؛ تبقى المفاهيم الجغرافية بدلاً من نداء البلاد البعيدة، يبقى خزان مياة كبير بدلاً من البحر، تبقى صرخة ذكر يدعو أنثى بدلاً من أغنية عصفور، تبقى مجموعة من الغازات بدلاً من السماء الزرقاء، وتبقى الدورة الدموية بدلاً من خفقان القلب.. إن روعي أكثر خفاء في أعماقي، من أضلاعي وعمودي الفقري ورئتي... ومع الشعر روعي على يدي مفتوحة شفافة... ويستطيع الناس أن ينظروا خلال نفسي".

نعم، لولا الشعر لضاع كثير من تاريخ الأمم وفلسفاتها وتراثها، ولاندثرت أحداث كثيرة ووقائع وحروب وحب وهواجس.

لقد حفظت لنا الياذة هوميروس الكثير من المعتقدات القديمة للأغريق، وحفظ لنا الشعر الجاهلي والمعلقات السبع الكثير من طقوس العرب القدامى، بل أن تاريخ دولة مثل "الدولة العيونية" اكتشف صدفة عن طريق شاعرها عبد الله ابن المقرب العيوني...

وساتوقف أخيراً عند ما قاله صديقي الشاعر المغربي المرحوم محمد الطوي: "بالشعر عبرت قارات لم أكن لأعبرها لولا الشعر.. بالشعر أيضاً تكبدت خسارات وعداوات لم تكن لولا الشعر الذي غمر حياتي بمفارقات عجيبة".

× برأيك ما هي الفترة التي يمكن أن تنتعش فيها الثقافة العراقية؟

- في أجواء الحرية والرفاهية والأمان، يمكن للثقافة أن تنتعش خاصة وأن لها أرضية كالعراق. ولدت عليها أولى الملاحم الشعرية في التاريخ الإنساني (ملحمة كلكامش). وازدهرت وتناقلت فيها أربع حضارات مهمة هي: (السومرية والآكدية والبابلية والآشورية). وهي غنية بشعبها

كَمْ كَرَعَ الْبَحْرُ أَحْلَامَنَا / جالسون على حجر  
الحكمة البابية/ تمضي بنا عربات الطغاة/ إلى  
غرف النوم والمقصلات ولا أصل... / البحر عاتٍ  
بأواجهه والجراذين تأكل من سفني / وأنا  
أتصارعُ والموج - رباهُ - / لا وطن في السفينة  
.....

حتى إذا أورقَ الفجرُ - فوق غصونِ المصاطبِ  
ودعنتي.... ومضيت وحيداً لمنفك  
تنشدُ في الريح منكسراً مثل نايٍ غريب:  
- أماناً بلادي التي لن أرى....

× كيف تفسر ظاهرة فشل العراق في صنع  
شخصية للمثقف المؤثر في الحياة  
السياسية ومصير الأمة؟

- لقد اشارت مس بيل في

مذكراتها في بدايات القرن

الماضي إلى ظاهرة ملفتة

في الشارع العراقي،

وهي بروز وتسلط العسكري

والاقطاعي ورجل الدين، وغياب

المثقف...

وقد تكرر هذا المشهد عبر عقود

تاريخنا العراقي، حتى يومنا هذا وإن بنسب

متفاوتة.. وهي ظاهرة فاجعية ومؤسفة بالتأكيد

تتحمل وزرها الحكومات وسياساتها والمثقف

المتقاعد عن أخذ دوره..

وما هذه الكوارث التي مرت بنا خلال الحقب

الماضية إلا نتيجة لهذا الغياب الفاجع للمثقف،

وتسلط العسكري ورجل الدين والقطاعي والتاجر

والسياسي..

لذا إذا اردنا أن ننهض بعراق جديد فلا بد أن

يكون للمثقف مكانته ودوره الطبيعي في القيادة

والتأثير والتأسيس.. وبغير ذلك فستبقى قرعة

السلاح والبيانات العسكرية هي الأقوى، وفتاوى

التكفير هي الأقوى، وسوق السلع الإستهلاكية هي

الأقوى.

لقد قامت الثورة الفرنسية بتقديمها رجال فكر

من أين يطلع فجر العراق  
وحراسنا - كل يوم - يعلون أسوارنا؟

...

أنام وأصحو، فلا أجد الفجر.

من سرق الفجر - يا ديك - من شرفات

المدينة...!

قلت عبود: كانت تضيق بنا كوة الأفق،

نوسعها بالأغاني

تضيق الأغاني، فنوسعها بالأغاني.....

فمن يوسع الآن كوة منفك..

لا شيء، غير السماء المعرّة تسحب قطعانها

البيض / فوق مدارج جفنيك / نحلّم في شجر

وارف / سيظلّ بيتاً رسمناه منذ الطفولة /

خلف سياج دفاترنا / والرمال المنداة الشعر لضاع كبير

بالبحر.../ يا أيها البحر ما أبقت من تاريخ الأمم وفلسفاتهما

السنوات المبررة منك سوى

نصف نافذة / تتلألأ فوق

السفوح الغربية / أقرب منها

زفير المدينة - في آخر الليل -

تقطعهُ المركبات وناي الحبيب / ويا خبز

أمي اشتهيتك / في برد منفاي، إشناء..... -

والشاي أبرد مما تظنين، / أبرد من مقل العابرين

سنشربه في المقاهي على عجل / ونذوب بموج

الزحام / فمن سيعد العشاء لأبنك/ حين ستنفد

منه النقود / وليس أدل من الجوع في مدن

الغرباء..

.....

أأقضي على وحشتي بالكتابة؟ / لكن إلى م؟ /

أقول لكلّكلامش: لو رأيت الذي قد رأينا / لبلت على

رأس هذي الحياة / وأسأل: هل عمرنا سجننا؟ /

هل كتابي ضريحي؟ / هل أرى الباب حلماً أنام

لأدخله؟ / هل أجرب موتي لعلي أرى عالماً / لم

يصوره ملتون / أخرج رأسي بين السطور لأبصر:

أطفالنا يلعبون بميرانتنا من حقول القنابل /

والفتيات على نهر دجلة / يغسلن أوجهن /

فتمضي المياه مرققةً بالجمال ليكرعها البحر /

صناديق عناد لخزنها ملأت أرضية الأسطبل،  
فكنا ننام عليها، وناكل ونحلم ونغني  
ونتشاجر ونتسامر، ونتطلع عبر الكوى الصغيرة  
إلى الغيوم السابحة ونطلق تأوهاتنا وحسراتنا  
الحبيسة، وكان سيد حرز يشعل طباخة الصغير  
"الجولة" فوق هذه الصناديق وبعثاً كنا نترجاه أن  
يحمل طاوته و"جولته" إلى خارج الأسطبل، لكنه  
كان يعاند ويزبد ويهددنا برفسها.. أي رعب يا  
الهي.

في أحد الأيام حمل أحد الجنود صحيفة  
وجدها قرب مزبلة الفوج شاهد فيها صورتي  
ومقالة كتبها الناقد عبد الجبار داود البصري  
عن ديواني الأول "انتظريني تحت نصب الحرية"  
الذي كان قد صدر في بغداد... تصور أية فرحة  
مشوبة بغصة طويلة وشعور بالمهانة. إن يُحتفى  
بديواني هناك وأن أعيش هنا، في هذا الأسطبل..  
أن يعيش بين الأضواء وأن أعيش في العتمة.  
مستذكراً السياب وهو يخاطب ديوانه بلوعة  
يا ليتني أصبحت ديواني لأفر من صدر إلى

ثاني

ألك الكؤوس ولي ثمالتها ولك الخلود وأني  
فاني؟

ألقيت الجريدة جانباً وسط دهشة أصدقائي  
من الجنود الذين دهشوا لرؤية جندي بينهم  
تصدر صورته إحدى صفحات الجريدة،  
وخرجت هائماً لوحدي.. ولم أنم تلك الليلة وعلى  
ضوء الفانوس المدخن، وفي نوبات الحراسة،  
بدأت أبياتها الأولى:

"في المحافل..

أو في المزابل

في الأغاني التي كرزتها الإذاعات

في حجر القحط يجرشُ ضحك السنابل

في دروب الصحافة، في اللادروب، الغروب

الذي سال

... أو مال

من قال إن القصيدة لا تنتهي في جيوب

عظام من أمثال جان شارل مونتسكيو صاحب  
كتاب "روح القوانين"، فرانسوا فولتير، كوندياك،  
جان جاك روسو صاحب كتاب "العقد الاجتماعي"  
الذي يرى أن الوسيلة الوحيدة لتصحيح التفاوت  
الاجتماعي هي في ضمان الحرية والمساواة  
المطلقة أمام القانون، وديني ديدرو الذي كان يؤمن  
أن الطريق إلى الخلاص من عيوب أشكال الحكم  
القائم لا يمر عبر الثورة بل من خلال إشاعة  
التنوير في المجتمع، وديدرو الذي آمن دوماً  
بجتمية الانتصار النهائي للحقيقة والتنوير  
وميرابو خطيب الثورة وصوتها اللاذع.. لكن ها  
هي ثوراتنا تقوم وتخدم، وصوت المثقف لا يُسمع  
أبداً.

× ملحمة "نشيد اوروك" التي كتبها الشاعر  
عدنان الصائغ ماذا تشكل له.. وهل هناك انجاز  
مشابه لتلك الملحمة يعمل عليه الصائغ؟

- هذا النشيد عاصر أهم وأفجع سنوات  
حياتي وسطر سنيماً منها ومن تاريخ العراق.

في تلك السنوات الكارثية من الحرب العراقية  
الايرائية ومن بعدها حرب الخليج ومن ثم  
الانتفاضة الشعبية العظيمة وإخمادها ثم هجرة  
الملايين وتشتتهم في أصقاع المنافي.

بدأت كتابتها عام 1986 ابان الحرب العراقية  
الايرائية، في أسطبل مهجور للحيوانات، في قرية  
شيخ أوصال، في مدينة السليمانية، عندما كنت  
جندياً معاقباً، رمانني النقيب ضابط التوجيه  
السياسي فيه بسبب وشاية وعتور حضيرة الأمن  
على كتب متنوعة تحت فراشي العسكري: أراغون،  
أدونيس، المعري، الجواهري، أريك ماريما ريمارك،  
السياب وغيرها.. التبس الأمر عليه وأمر بجزي في  
هذا الأسطبل وكان معي أربعة جنود محتجزين  
أيضاً، أحدهم كان مصاباً بالشيذوفرينيا اسمه "سيد  
حرز" ذكرته في النشيد كثيراً.

وقد عشت في هذا الأسطبل حوالي عامين بين  
رائحة الروث المتيسبب ودوي القذائف ودبيب  
العقارب السامة، وحكايات الجنود.. ثم نقلوا لنا



مسرح الرشيد، لكن السلطة انتبعت له بواسطة مخبريها، فقامت بمنعه بعد العرض الأول ولم يسمح للمخرج بتقديمها إلا بعد حذف مقاطع كثيرة منها، ومع ذلك منعه مرة أخرى وقادونا جميعاً الى التحقيق: شاعراً ومخرجاً ومعداً وممثلين. لكننا تخلصنا من قبضتهم بأعجوبة، وعلى أثر ذلك غادرت الوطن في العام نفسه إلى عمان، وواصلت الكتابة فيه بأمان وبحرية أكثر حيث وجدت لكتابتي ولنفسي فضاءً رحباً، منحنتني دقاً آخر، مختلفاً، وصارخاً، وكان علي أن أوصل الكتابة فيها مدفوعاً بشهوة صراخ سجين يرى الشمس لأول مرة.. ثم ليتنقل معي في طوافي وتشردني عبر صنعاء، عدن، الخرطوم، دمشق، حتى وصولي إلى بيروت عام 1996 ليكتمل وأقدمه إلى إحدى المطابع هناك.

- آخر ما كتبت؟

- أعمل الآن على نص كنت قد بدأت من منتصف عام 1996 في بيروت ولم أنته منه لليوم. ومن المؤمل أن يكون أطول من النشيد بكثير، لكن بشكل مختلف ومغاير تماماً.. هذا النص سميته "نرد النص" فيه استقراء لتراثنا التاريخي والديني المسكوت عنه ومسألهته بجرأة وحرية مطلقة لا تعرف حداً، لنفهم كيف ولماذا وصلنا إلى ما وصلنا إليه اليوم.

## المقاول

في مقص الرقيب (سينسى عويناته القزحية،  
فوق سرير البغي)  
فيشطب - في الصباح - نصف القصيدة  
كي تستقيم مع الميلان الأخير  
لوزن الوظيفة

وقد وجدت متفكساً لي وأنا أسطر الصفحة  
تلو الصفحة على شكل هذيان غير مترابطة  
مندفعاً بروح غامضة لتسجيل تاريخ الحرب  
السري وما عشناه من ذل وألم وموت مجاني..

لم أكن أخط لها شكلاً أو لغةً أو محتوى أو  
نهاية. تركتها تسبح وتهذي وتسجل بصدق حرارة  
التجربة نفسها بكل مراراتها ودققها وسرياليتها  
والسحرية الواقعية التي تكتنزها، ثم وجدتني  
أغوص في أعماق التاريخ الإنساني لاستكناه  
معنى أو تفسيراً لما وصلنا إليه.

ومن رحم تلك المعاناة، وفي تلك الأجواء  
الكابوسية التي كدت أختنق فيها.. كنت أكتب  
وأكتب وأكتب...

بعد سنوات يطلع عليها صديقي الشاعر عبد  
الرزاق الربيعي فيشجعني كثيراً، ويطلع الناقد  
جبرا إبراهيم جبرا على بعض صفحاتها فيتحمس  
لها وينبهنني إلى أنني أضع أصابعي على ملحمة  
عراقية معاصرة سيكون لها صدق ويطلع عليها  
خالي الشاعر والناقد د. عبد الآله الصائغ  
ليشجعني كثيراً ويسميتها القصيدة المنجمة ويكتب  
لي على غلاف مسودتها الأولى: "أنت لا تدري بأنك  
أنجزت رواية شعرية مبتكرة اختلجت فصولها  
واختلطت شخوصها واختبلت أختلتها.."

ولم استطع أن أنشر أي شيء منها داخل  
العراق آنذاك.

لكن مخرجاً جريئاً (غانم حميد) ومعه معد  
رائع (إحسان التلال) استطاع تقديم بعضها  
بمعلمين مسرحيين هما: "هذيانات الذاكرة المر" عام  
1989 على مسرح أكاديمية الفنون الجميلة،  
والذي ظل في هذيانه يقطاً عام 1993 على